التداولية من المعجم إلى الاستعمال اليومي

Deliberative From Dictionary to daily Use

عبد القادر بعداني*

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، abdbaadani@gmail.com

تاريخ الارسال 2021/07/29 تاريخ القبول 2021/09/10 تاريخ النشر2021/12/27

الملخص:

عالجت في هذا المقال التداولية وتعرضت لمفهومها، وركزت على أن اللغة ليست بناء نحويا أو صرفيا فقط، كما تذكر المدرسة البنيوية. بل هي تتجاوز القاموس إلى الشارع، ومنه نأخذ كثيرا من المعاني، وبينت أن ثقافة المجتمع تلعب دورا أساسيا في فهم المقصدية من الخطاب الأدبي. وستجدون داخل هذا النص كثيرا من الأمثلة التي توضح ذلك. كما ذكرت أن التداولية تتقاطع مع كثير من العلوم وتستفيد من جميعها، وحاولت أن أقدم للقارئ الكريم أن تراثنا القديم عرف التداولية ممارسة وتطليقا، ولم يعرفها كمصطلح قائم على أسسه ومبادئه.

الكلمات المفتاحية: التداولية، المعجم، الاستعمال، اللغة، السياق، المقصدية، **المعنى**

abstract:

This article deals with "Tadawwolia" deliberative, it introduces the concept and focuses to illustrate that language is not only grammatical and morphological construction as it represented in the structural school.

It passes the dictionary to the street. Thus we get more meanings.

This study also shows the vital role of culture in the understanding of the purpose of literary discourse.

This article includes more examples and shows the relationship with other sciences and tries to introduce that our old heritage knew this deliberative practically but not as concept based on principles.

Keywords: pragmatics, lexicon, usage, language, context, intent, meaning.

مقدمة:

لقد تجاوزت الدّراسات اللّسانية في وقتنا الحاضر التّيار البنيوي الذي يركّز على بنية الكلمة، ويتعامل مع النّصوص بعيدا عن سياقها الخارجي الذي أنتجها، ويتعامل مع الجملة على أنّها مجرد كلمات، إذ لم تصبح المدرسة البنيوية التّيار الوحيد المسيطر على الدراسات اللسانية، بل ظهرت نظريات علمية مختلفة في الأسس المعرفية، منها النظرية التداولية التي هي فضاء مفتوح على معظم العلوم الأخرى، كالبلاغة والسيميائية وتحليل الخطاب وعلم الاجتماع وعلم النفس والنقد الأدبي، وهي مذهب لساني يدرس اللغة وعلاقتها بمستعمليها، وطرق استعمالها هو

* المؤلف المرسل

الرمز والعلامات اللغوية، وتدرس دور السّياق داخل النص الأدبي، لتوصيل المعنى والفكرة بنجاح، والبحث عن العوامل الأساسية التي تجعل النص واضحا مفهوما خاليا من التّعقيد، وذكر أسباب فشل التّواصل اللغوي.

وتطبيق التداولية على اللغة العربية سيسهم في رقيّها وتفسير ظواهرها، ويزيد من سهولة تواصلها ويجعلها في مصاف اللغات العالمية، كما أنّ تطبيق هذه النظرية على نصوصنا القديمة يزيد من ثرائها وقدرة تواصلها مع الأجيال، ويبدو أن علماءنا القدامى عرفوا هذا التيار ممارسة وتطبيقا ولم يعرفوه مفهوما ومصطلحا بأسسه ومبادئه، وخاصة علماء البلاغة، ولذا كان تعريف البلاغة عندهم يدور حول محور واحد وهو" مطابقة الكلام لمقتضى الحال".

فالتداولية بمفهومها هذا الذي يعني "دراسة اللغة أثناء الاستعمال" قد عرفه العرب واستعملوه في كلامهم وطبّقوه على نصوصهم، بدليل أنّ الزّبرقان بن بدر فهم خطاب الحطيئة الذي ظاهره مدح وباطنه هجاء حين قال يهجوه:

دعْ المكارم لا ترحلْ لبغيتها واقعدْ فأنت الطّاعم الكاسي

رغم محاولات عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتأويله وتخفيف ما فيه من هجاء، إذ قال له ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة. أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا؟ بل أراه مدحك. ولكن الزّبرقان بحسّه العربي فهمه كما هو متداول بين النّاس، وأصرّ على أنه هجاء، فقال لعمر: أو ما تبلغ مروءتي إلاّ أن آكل وألبس؟

قال عمر عليّ بحسّان، فجيء به ليحكم، فقال حسّان كلمته المشهورة التي تداولها النّقاد: "لم يهْجه ولكن سلح عليه" كناية عن شدّة الهجاء. ففهم الزّبرقان بن بدر بذوقه العربي الفطري ما يفهمه نقّاد الأدب الكبار، وبذلك عاقب عمر بن الخطاب الحطيئة بأن وضعه في السّجن. فهذا الفهم الصّحيح لما قصده الحطيئة هو تطبيق للتّداولية في تراثنا القديم ويعدّ مثلا بارزا على معرفة العرب بهذه النظرية ممارسة وتطبيقا.

تعريف التّداولية

تعريفها لغة: مصطلح التداولية مأخوذ من دول الثلاثي، جاء في لسان العرب" تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تحاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[1]

تعريفها اصطلاحا:

للتداولية عدة تعريفات نجملها في الآتي: هي فهم المعنى الموجود في ذهن المتكلم، أو فهم المعنى من خلال السّياق، أو هي عندما يعني القول الفعل، أو هي العلم الذي يدرس المعنى مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق[2]،أو هي فهم ثقافة الآخر، ويعتبر شارل موريس أول من عرّف التداولية، وحصرها ضمن مجال السيميائية، وأسند إليها دراسة العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وذلك بعدما بيّن أن تفاعل العلامات فيما بينها يشكل ما نسمّيه علم التراكيب، وتفاعل العلامة يفضي إلى علم الدّلالة.

فالتداولية إذن هي العلم الذي يهتم بالجانب الاستعمالي للغة.

فالتداولية هي: " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغة الطبيعية"[3]

ويتضح مفهوم الفعل الكلامي بالرجوع إلى نظرية الأفعال الكلامية التي كانت تركز على القصدية في فهم كلام المتكلم والربط بين التراكيب اللغوية وغرض المتكلم من الخطاب الذي ينتجه، أي المقصود بالفعل الكلامي هو الانجاز الذي يقوم به المتكلم عند تلفظه بالكلمات مثل: " الأمر، النهي، الوعد، السؤال، التعيين، التعزية، التهنئة"[4] .

فالأفعال الكلامية هي المعاني التي تستفاد من صيغ التواصل سواء كانت هذه الأساليب خبرية أم إنشائية، ومن منظور التداولية لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية أو رموزا للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه"[5] .

فالتداولية ليست علما قائما بذاته بالمفهوم التقليدي، فهي لا تصف البنى اللغوية وتحلّلها وتشرحها، ولكنّها علم يدرس الظّواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويستفيد من جميع المعارف والمشارب لتحليل هذه الظّاهرة.

ظهرت التّداولية كدراسة للّسان في العصر الحديث والمعاصر، وقد ظهرت لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي، وهي تهتمّ بدراسة اللغة اليومية للأشخاص، حيث تدرس اللغة أثناء استعمالها في السياقات المختلفة والمواقف المتعدّدة، وتركّز على العملية التّواصلية، فتهتمّ بمقاصد المتكلّم، وتراعي ظروف المخاطب كما أنّها لا تلغي الظّروف المحيطة بالعملية التّواصلية، وهي تستفيد من علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاتصال والفلسفة التّحليلية. [6] .

علاقة التداولية بالبلاغة:

الدارس للتراث العربي يستنتج أن العرب قديما عرفوا التداولية ممارسة دون أن يعرفوها كمصطلح، حيث أننا عند البحث نجد أنّ جل مبادئ التداولية الحديثة موجودة في تراثنا العربي ولو بمسميات مختلفة، " وذلك من بداية طلائع الدرس اللغوي مع سيبويه وصولا إلى النقاد والبلاغيين المتأخرين"[7] .

فقد تناول الدارسون العرب:

1- أن التكلم يتم لغايات وأهداف أو إشباع حاجات أو الحصول على فائدة.

2- تستعمل اللغة لأغراض معينة.

3- يضفي المتحاورون على الملفوظات دلالات أخرى غير ظاهرة[8].

قامت التداولية رافضة فكرة المدرسة البنيوية القائمة على ثنائية اللغة والكلام، التي أسس لها العالم اللغوي دوسوسير، القائلة بأن اللغة هي وحدها الجديرة بالدراسة، متغاضية عن الكلام، وبناء على هذا فإن التداولية تهتم بدراسة العلاقة بين اللغة ومتكلميها، والتداولية ضرورية للتواصل مع الآخرين والاندماج فيهم ثقافيا واجتماعيا، وعدم فهم ثقافة الآخر وأساليب التعبير في المجتمع الذي يخاطبه قد يسبب مشكلات، كأن يقول الطالب لأستاذه مثلا: يجب عليك أن تكتب رسالة توصية لي أو يجب عليك أن تعطيني علامة ممتازة، فهذا التعبير رغم أنه صحيح نحويا وصرفيا وإملائيا وبلاغيا، إلا أنه لا يقال من طالب إلى أستاذ. فهذا قد يسبب مشاكل شخصية بين الطالب والأستاذ لأن المعنى له علاقة بالحياة الاجتماعية والثقافية أكثر من بنية الكلمة نحويا وصرفيا وبلاغيا. كما لا يخفى على دارسي العربية أن في الاستعارة والكناية يتكلم المتكلم بكلام ويقصد معنى خفيا آخر، يقول أحمد المتوكل:

" من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي يتضمن ثنائية الخبر والإنشاء التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية، الوصف والإيجاز، كما يدل ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء. (9)

ومن هذا المنطلق نقول أن الدرس اللغوي العربي القديم قد مهّد لظهور التداولية من خلال اهتمامه بدراسة اللغة أثناء الاستعمال.

وللتداولية عدة مصطلحات منها: التداولية، الذرائعية، البراكماتية، الوظيفية، الاستعمالية، التخاطبية، النفعية(10). ولكن يظهر أن الباحث أحمد المتوكل أحسن ترجمتها حين أعطاها مصطلح التداولية (11) لأنها تعبر على الكلام المتداول بين الناس والمشاع بينهم في الشارع، ويعني هذا أن التداولية تدرس النص أو الخطاب الأدبي وربطه بالسياق التواصلي، هادفة إلى الفهم والإفهام، مركزة على المقصدية في النصوص والخطابات.

إنّ اللغة يجب أن تدرس من محورين:

1- محور دلالة المفردات داخل المعجم.

2- محور تداولي أي الذّهاب إلى أبعد من المعنى الذي يقدّمه المعجم والبحث عن المعنى الاجتماعي، أي البحث عن المعنى بعيدا عن التركيب، فمثلا عندنا في اللغة العربية نستعمل كلمة "تفضّل" للتّرحيب بالشّخص وهذا هو استعمالها في القاموس، ولكن قد نستعملها بخلاف ذلك تماما، كأن يقول الأستاذ لطالب وهو في حالة غضب " تفضّل" فيفهم الطّالب ذلك بسرعة ويخرج.

وعندنا كذلك نحن العرب نستعمل الحمد لله للإجابة عن عدة معان:

مثلا: هل شبعت؟ الحمد لله، دلالة على الشبع، هل شفيت؟ الحمد لله، دلالة على الشفاء، وإذا أصيب شص بمصيبة ويسأل كيف حالك؟ فيقول الحمد لله، دلالة على الصبر، فهذه المعاني المتنوعة يعطيها لنا الشارع لا القاموس، وإذا جاءك فقير وقال لك أنا جائع، وأعطيته رغيف خبز، فإنك لم تفهم غرضه، لأنه في الحقيقة يريد

مالا، أما إذا جاءك ضيف مثلا وقلت له أنا جائع فإنك تريد أن تدعوه للغداء وهكذا، المعنى يؤخذ من الموقف الذي تكون فيه.

فاللغة ليست عبارة عن مفردات وقواعد نحوية فقط كما تذكر المدرسة البنيوية، ناسين البحث عن المعنى من الاستعمال اليومي ومن ثقافة المجتمع وعاداتهم، فقد نجد جملة صحيحة البناء لغويا، إلاّ أنّ معناها يتطلب معرفة تامة بلغة الشارع حتى نفهمها ونعرف دلالتها جيدا، كأن يقول الطالب لأستاذه مثلا يجب عليك أن تكتب لي ملاحظة جيدة، فهذا الأسلوب مرفوض تداوليا لأنه من الأعراف والعادات ألاّ يأمر الطالب الأستاذ، وكذلك كثير من النكت لا يفهم المغزى منها إلا بناء على ثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده وسيكولوجيته النفسية.

التداولية والنص الأدبي:

استفاد النص الأدبي بعد مرحلة ما بعد الحداثة، بعدّة نظريات ومناهج من أهمها: المقاربة التداولية بكل أنواعها من حجاجية وسياقية.

وإذا كانت اللسانيات تركز على دراسة الجملة، فإن التداولية تتجاوز هذا إلى دراسة النّص والخطاب الأدبي، خاصة لسانيات النّص، واللسانيات الوظيفية، وهذا يعني أن التداوليات النصية تعاملت مع الخطاب ككل متكامل العضوية، وذات اتساق وانسجام، "وعليه تتعامل التداولية مع النص الأدبي باعتباره خطابا وملفوظا لغويا ذا كلية عضوية سواء أكان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا، حيث تربط ملفوظاته بالوظيفة والسياق المقامي والأداء الانجازي." [(12)]

فالتّداولية هي الدّراسة العلمية للجانب الاستعمالي للغة، "إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة."

والاختلاف الموجود بين النّظريات والتّوجهات حول التداولية يرجع إلى جهة الزّاوية التي ينظر من خلالها كلّ عالم إلى السّياق. فهناك من يرى أنها الأقوال التي تتحول إلى أفعال، ومنهم من يرى أنّها الآثار التي تظهر على العمل الأدبي.

الهوامش:

[1] – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، تح/ عامر أحمد حيدر، ط3، 1994، ص: 252.

[2] – التداولية وتحليل الخطاب، جميل, حمداوي، مكتبة الوقف، ص:9.

[3] – التداولية عند العلماء العرب، د/ مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت، ص: 9.

[4] – علي خلف الله، التداولية مقدمة عامة، ، دت، ص: 224.

[5] – التداولية عند العلماء العرب، د/ مسعود صحراوي، مرجع سابق، ص:5.

[6] – اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي الأردن، ط 1، 2009.، ص: 160.

[7] – في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، العلمة الجزائر، ط1، 2009، ص: 31، 32.

[8] – في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ص: 113، 114.

[9] – في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، نواري سعودي أبو زيد، مرجع سابق، ص: 32.

[10] – التداولية وتحليل الخطاب، جميل, حمداوي، مرجع سابق، ص: 6.

[11] – ينظر: اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة، بيروت لبنان، ط 2/ 2010.

[12] – التداولية وتحليل الخطاب، جميل, حمداوي، مرجع سابق، ص 14.

المراجع:

1-التداولية عند العلماء العرب، د/ مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت.

2-اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة، بيروت لبنان، ط 2/ 2010.

3-في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، نواري سعودي أبو زيد، بيت الحكمة، العلمة الجزائر، ط1، 2009

4-اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي الأردن، ط 1، 2009.

5- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم، خليفة بوجادي

6-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، تح/ عامر أحمد حيدر، ط3، 1994.

المجلات:

1-مجلة الأثر، العدد الخاص، اشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

2-مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 14، العدد1، 2017.

3-مجلة الأثر العدد الخاص أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب،التداولية عند العرب القدامى، رؤيا في ضوء اللسانيات الحديثة، عبد البار عبد القادر.

الموقع الالكتروني:

1- https://journals.openedition.org/insaniyat/9668